بدائع التعبير القرآني وخصوصيته في أمثلة من الآيات القرآنية

د.كريم احمد جواد التميمي الكلية التربوية المفتوحة
م.م. عدوية فياض علوان الكلية التربوية المفتوحة

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد (صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلّم)، أما بعد:

فنحن نقف لنغترف من بحر لا ساحل له ومن درر المكنون ألا وهو كتاب الله العظيم القرآن الكريم المعجز الذي أبهر وأعجب وأعجز البلاغيين واللغويين والناس جميعاً بأسلوبه وبلاغته وتعبيراته المؤثرة التي جاءت منتظمة متتابعة لتعطينا صورة متماسكة بسياقاته ودلالاته وتفصيلاته بأوجز العبارات وأعمقها معنى وأبقاها أثراً .

وللدلالة على ذلك كتبنا هذا البحث موسوماً بـ(**بدائع التعبير القرآني وخصوصيته في أمثلة من الآيات القرآنية)** تناولنا فيه الموضوعات الآتية:

١- التقديم والتأخير في التعبير القرآني .
٢- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني في باب الوصف ، ويدخل في ضمن ذلك الفرق بين (جاعل) و(خالق) في التعبير القرآني.
٣- خصوصية التعبير القرآني في باب الذكر والحذف.
٤- البنية في التعبير القرآني .
٥- التعبير القرآني في المشتقات (اسم الفاعل وصيغ المبالغة).

على إننا أخذنا مثالاً واحداً لكل نقطة من هذه النقاط من آيات القرآن الكريم للاختصار أولاً ، ولأن الآيات المختارة في هذه الموضوعات تعطينا صورة واضحة ، وإنها تعبّر عن الآيات المشابهة لها وفي الموضوع نفسه ثانياً ، ومع ذلك أشرنا في قسم من هوامش البحث إلى الآيات الأخرى التي تحمل الدلالة والمضمون اللذين تعبّر عنهما الآية المختارة .

لقد اعتمد البحث على مصادر ومراجع كثيرة ، أبرز: البرهان في علوم القرآن للزركشي ومجمع البيان للطبرسي والكشّاف للزمخشري والتفسير الكبير للرازي ولسان العرب لأبن منظور وروح المعاني للألوسي والتعبير القرآني وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرّائي الذي يعد من أبرز المحدثين العراقيين الذين تحدثوا عن هذا الموضوع بدلالة كثرة مؤلفاته التي تتناول التعبير القرآني سواء ما يخص المفردة أو الجملة أو النصوص ، لذلك كانت أغلب الإحالات في بحثنا على هذه الكتب وغيرها من المصادر والمراجع المثبتة في هوامش البحث نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الرشد ويهدينا الصراط المستقيم ويجعل القرآن الكريم دستور عملنا في الدنيا وشفيعنا مع المصطفى(صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) في يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نظرة في التقديم والتأخير في التعبير القرآني

تكلّم علماء العربية قديماً وحديثاً على دوافع التقديم ، وذكروا أمثلة كثيرة قرآنية وشعرية وسبب التقديم فيها ، مثل الاختصاص والعناية والشرف والتعظيم وتقوية الحكم والكثرة والتدرّج الزمني والسبب والتعجب والاستلذاذ[١]، والرتبة والقلة وتقديم الضرر والنفع و العذاب والمغفرة وتؤكد الدراسة الأسلوبية لنا أنّ تحوّلات الصياغة ذات اثر مهم في تغيير المعنى واعطائه دلالات أو إيحاءات فالأصل أن يكون المقدم مقدماً والمؤخر مؤخراً ولكنّ دواعي فكرية ونفسية كثيرة تطرأ على كيان المنشئ فتجعله يقِدم مؤخراً أو يؤخِر مقدماً ، وليس ذلك من قبيل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه ، يقول أبو هلال العسكري ((الالفاظ أجساد والمعاني أرواح ، وانما نراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّراً ، أو أخرت منها مقدّماً ، أفسدت الصورة ، وغيرّت المعنى ، كما لو حوّل رأس إلى موضع اليد ، أو يد إلى موضع رجل ، لتحوّلت الخليقة ، وتغيرّت الحلية)) [٢] .

يقول د. فاضل السامرائي ((إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين اوتوا حظّاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادّعاء يدعى أو كلمة تقال ، وقد بلّغ القرآن الكريم في هذا الفن -كما في غيره- . الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير ، بحيث تستقر في مكانها المناسب ...

فنرى التعبير منّسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة) [٣] ولهذه الأسباب وغيرها درس الباحث حميد أحمد عيسى العامري موضوع (التقديم والتأخير في القرآن الكريم) في كتاب صدر سنة ١٩٩٦ ضمّ ثلاثة فصول :

الأول : دلالة التقديم والتأخير في القرآن الكريم من الناحية اللغوية .

الثاني : صور تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية والفعلية في القرآن الكريم .

الثالث : تقديم المفعول به والمفعول الثاني والظرف والجار والمجرور والحال في القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالأبعاد النفسية للمتكلّم[٤] ويعد التقديم والتأخير من موضوعات علم المعاني المهمّة في البلاغة العربية ، وهو موجود في النحو العربي وعلى قسمين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله ، نحو: ((محمداً اكرمت')) وسبب هذا التقديم هو الاختصاص، أي اختصاص الإكرام بمحمد ، فلم يشترك أحد مع محمد في الإكرام. ولو قلنا: ((أكرمت محمداً)) فلم يكن محمد وحيداً في الإكرام وانما يشترك معه وآخرون .

ومن ذلك التقديم في القرآن الكريم، قوله تعالى: (إيّاك نعبد' وإياك نستعين').فسبب تقديم المفعول به على عامله هنا حتى تكون العبادة والاستعانة مختصين بالله سبحانه وتعالى وحدَه لايشترك معه أحد .

الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل ، نحو ((أعرت' زيداً كتابي)) و

١- ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٧٩/٣.
٢-الصناعتين: ١٧٩.
٣- التعبير القرآني : ٥١.
٤- ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١١- ١٥٧.

((أعرت‘ كتابي زيداً)) وقد فصّل الدكتور فاضل السامرائي في هذين التقديمين في مؤلفه المهم (التعبير القرآني).[١]

وقد وردت آيات قرآنية كريمة كثيرة تخصُّ النوع الثاني ، ومنها :

قوله تعالى في سورة النمل: (لقد وُعِدْنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين)[٢] .

في حين قال تعالى في سورة (المؤمنون) : (لقد وُعِدْنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) [٣].

نلاحظ هنا إن الآيتين بألفاظ واحدة والفرق بينهما هو تقديم (هذا) في سورة النمل وتأخيره في سورة المؤمنون. علماً إن الفريقين اتفقا في الآيتين على إنكار البعث وعدّوه أكاذيب وأساطير .

إنّ السبب في تقديم (هذا) في الآية الأولى ـ كما يرى الطبرسي ـ هو للتأكيد على كون الأمر من قبيل المفاجئة والتعظيم في الاستغراب لذلك الأمر ، أما في الآية (٨٣) من سورة (المؤمنون) فأنّ تأخير (هذا) أو الإشارة إلى أمر البعث بأنه أمر معروف ومسموع من قبل وقد سمعناه وسمعه آباؤنا ، ولم يعد من الأمور المفزعة أو الوعود المخيفة إذ هو لا يتعدّى الأكاذيب[٤]ويرى القزويني (٧٣٩هـ) ـ وهو ما ذهب إليه الزركشي ، أنّ الجهة المنظور فيها هناك في الآية (٦٨) كون أنفسهم وآبائهم تراباً ، والجهة المنظور فيها في الآية(٨٣) كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى ادخل عندهم في تبعيد البعث[٥].

يقول الدكتور فاضل السامرائي عن الآيتين : ((فقدّم (هذا) في الآية الأولى وأخّرها في آية (المؤمنون) وذلك إن ما قبل الأولى: (أإذا كنا تراباً وآباؤنا انا لمخرجون)[٦]وما قبل الثانية:(أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون)[٧]. فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً. والجهة المنظور فيها كونهم تراباً وعظاماً...

وذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد ، وذلك أنهم أصبحوا تراباً مع آبائهم .

أما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك أنهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأوّلين من البلى. ولذا قدّم (هذا) في الآية الأولى ؛ لأنه أدعى إلى العجب والتبعيد))[٨].

يبدو لنا ـ والله أعلم ـ أن موجب تقديم الإشارة وتأخيره حدّده السياق في الآيتين ، فله أهمية كبرى في بيان التقديم والتأخير . والسياق هنا يتحدّث عن موضوع (البلاء) الحاصل على الإنسان في هاتين الآيتين . فأي البلاء أشدّ وأكبر في سورة (النمل) أو في سورة (المؤمنون) ؟

---

١ -ينظر : التعبير القرآني : ٤٨- ٧١ .

٢- النمل/ ٦٨ .

٣- المؤمنون /٨٣

٤- ينظر : مجمع البيان : ٦ / ص٤

٥- ينظر:الإيضاح :١١٦والبرهان في علوم القرآن : ٣٣٠/٣.

٦- النمل/٦٧.

٧- المؤمنون /٨٢.

١- التعبير القرآني٦٢-٦٣.

نجد أن البلاء أصاب الأوّلين أكثر مع آبائهم في سورة (النمل) عن سورة (المؤمنون) والبعث أعجب وأصعب وأعسر في الأولى من الثانية التي هي أقل بلاءً وتعجباً فأصل الكلام والله أعلم نكران البعث في الآيتين ، علماً أنه أشد في السورة الأولى من الثانية ، لذلك قدمت الإشارة (هذا) هناك...

ولعل الحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ هو إن سورة (المؤمنون) تحدثت عن مقولة الكافرين وعن مقولة آبائهم الأولين ، لهذا كان ترتيب الآية: (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) فذكرت هذه الجملة للتأكيد على أنهم مع آبائهم وعدوا بشيء لم يتحقق إلى الآن ، فما دام الله سبحانه

وتعالى لم يبعث آباءنا الأولين . إذن ما يقوله الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) أساطير الأولين ، لهذا قال تعالى : (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) ـ أي الأخبار بالبعث من القبور ـ من قبل ـ أي أيضًا آباؤنا الأولون وعدوا بالشيء نفسه وما دام لم يتحقق إلى الآن إذن (إن هذا إلا أساطير الأولين).

أما بالنسبة إلى سورة (النمل) فقد تحّدثت عن مقولة الكافرين في زمن النبي (صلّى الله عليه واله وصحبه وسلّم) فقط ، من دون ذكر مقولة الأقوام السابقة ، لهذا تقدّم اسم الإشارة فأصبح المعنى : لقد وعدنا بالبعث من القبور نحن وآباؤنا الأقدمون من قبل رسالة الإسلام ، وما دام آباؤنا لم يبعثوا إلى الآن . إذن ما يقوله (محمد صلّى الله عليه واله وصحبه وسلّم) هو أساطير الأولين ، أي كأخبار الأمم السابقة والله سبحانه وتعالى أعلم .

إن هذا المثال من التقديم والتأخير ((يدل دلالة واضحة على أن التعبير القرآني تعبير مقصود ، كل لفظ فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً ، وأنه لم يقدّم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق . وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله ونظر إليه نظرة واحدة شاملة)) [1] .

بلاغة الكلمة في التعبير القرآني في باب الوصف

وضع أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي كتاباً مهماً يبحث في المفردة في القرآن الكريم والمقصود بالمفردة الكلمة الواحدة ، وسم هذا الكتاب بـ (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) ، طبع في بغداد سنة ٢٠٠٠م . ويعدّ موضوع المفردة في القرآن الكريم موضوعاً واسعاً متشعب الأطراف ومتعدد المناحي ، ومنه ما يقع في باب الوصف ، نحو قوله تعالى في سورة الأنعام : (والزّيتون والرمّان مشتبهاً وغير متشابه)[2]. وقوله في السورة نفسها :

(والزيتون والرمّان متشابهاً وغير متشابه)[3]وعند عودتنا إلى معجمات اللغة وجدنا أن الشّبْه و الشَّبه والشَّبيه يعني : المِثْل والجمع أشباه ، واشبه الشيءُ الشيء : ماثلة. وجمع شبه مَشَابِه على غير قياس ... وأشبهت فلاناً : شابهته واشتبه عليَّ وتَشَابه الشيئان واشتبها : أشبه كلّ‘ واحد منهما صاحبه ... والمشتبهات من الأمور المشكلات ، والمتشابهات:

---

٢ ـ التعبير القرآني : ٧١ .

١ـ الأنعام /٩٩.

٢ـ الأنعام/١٤١.

المتماثلات. والتشبيه التمثيل. والشبْهَة' : الالتباس . وأمور مشْتَبِهة ومشْتَبَهة : مشْكِلة يشبه بعضها بعضاً [1] .

أما كتب التفسير فقد ذكرت أن (اشتبه) و(تشابه) بمعنى واحد مثل اختصم وتخاصم واشترك وتشارك مّما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل[2].

ومن حيث الأعراب يعرب (مشتبهاً) و (متشابهاً) حالاً منصوباً ، ومن حيث المعنى في سورة الأنعام الآية (٩٩) يخرج مشتبهاً أي أوراقه متداخلة في الشكل يشتبه الناظر في شكلها لتقاربها من حيث المنظر. وقد خص ّ الزيتون والرمان بذلك ؛ لأن الأوراق متقاربة فضلاً عن حجم الشجرة وأغصانها . وغير متشابه : أي مع كونه يتشابه في الهيأة لكنه يختلف اختلافاً واضحاً وظاهراً في ثمره . فالزيتون هو حبيبات صغيرة ثم تنضج ، أما الرّمّان فيتفتح أزهاراً حتى تصبح الثمرة الواحدة وعاءً لذلك قال الله سبحانه وتعالى في آخر الآية : (انظروا إلى ثمره وينعه) لتظهر لكم تلك المفارقة العجيبة لكونها تزرع في مكان واحد وتسقى من ماء واحد .

أما في سورة الأنعام الآية (١٤١) فأن المعنى : يشبه أحدهما الآخر أوراقاً وهيأة الشجرة واغصانها واحدة ، وقد أوقع التشابه هنا بدل الاشتباه ؛ لأن الاشتباه في الآية (٩٩) كان الوصف للمفرد من أسم الجنس . أما هنا فالوصف في العريشة (جنات معروشات) أي تشابك الغرس وآختلط الزيتون والرمان لولا اختلاف الثمر الذي به يستدل على الجنس[3] .

ويرى الدكتور فاضل السامرائي إن الآيتين ليستا بمعنى واحد وان كلّ لفظة اختصت بالموطن المناسب لها ، وبالنظر في سياق الآيتين يتضح' الفرق بين التعبيرين إذ (إن سياق الآية الأولى في بيان قدرة الله الباهرة في خلق... وأما سياق الآية الأخرى ، ففي بيان الأطعمة وما يحلّه ويحرّمه أهل الكفر افتراء على الله وبيان عقائدهم الباطلة).[4] .

ووضّح لنا الدكتور السامرائي الفرق بين الآيتين في سبع نقاط مهمة[5]، ثم نظر في أصل المسألة وهي لماذا قال الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى (مشتبهاً وغير متشابه). وقال في الآية الثانية (متشابهاً وغير متشابه) ؟ بعد أن عاد إلى معجمات اللغة المختلفة ، توصّل إلى ((أن (اشتبه) أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال كقولهم : ((اشتبهت عليه القبلة واشتبه عليه الأمر)) . وان (تشابه) أكثر ما يفيد المشاركة في معنى من المعاني سواء أدّى إلى الالتباس أم لم يؤدّ. ومعلوم أنّ الذي يستطيع أن يشبّه الأمور حتى تلتبس على الناظر أو المتأمل فلا يميّز بينها أقدر من الذي يقدر على أن يجعل مجرد تشابه بين شيئين.

وان الأمور المشبّهة كلّما رقت كانت أدلّ على القدرة والبراعة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الأمور المشبّهة تحتاج إلى زيادة نظر وتأمل لأدراك حقيقة أمرها. فوضع

٣- ينظر: لسان العرب (مادة شبه) ٢٣/٧ - ٢٤.

٤- ينظر : الكشاف :٥٢٠/١ والبحر المحيط: ١٩١/٤. وروح المعاني:٢٤٠/٧.

٥- ينظر: مجمع البيان:٦ /

١- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:٧١.

٢- ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٧٢.

(مشتبهاً) في السياق الدال على قدرته وآياته وفي موضع الأمر بالنظر(انظروا إلى ثمره) ، دون الموضع الآخر ممّا ليس في هذا السياق الذي ورد فيه)) [١] .

أما عن قوله تعالى في الموضعين _ الآيتين _ (وغير متشابه) فنفى التشابه من دون الاشتباه وقد وضّح لنا ذلك الدكتور فاضل السامرائي في قوله : إن ((نفي التشابه ينفي الاشتباه ونفي الاشتباه لا ينفي التشابه... فلو قال في الآية الأولى (مشتبها وغير مشتبه) لكان نفي عنه الاشتباه ولم ينف عنه التشابه ، فعلى هذا يمكن أن يكون النوعان متشابهين في وجه من الوجوه . فأراد أن ينفي ذلك ، فقال (وغير متشابه) وهذا أدلُ على القدرة ، فأنّ جعل الأشياء بعضها متشابهٌ وبعضها مختلفٌ ادلُ على القدرة من جعلها كلّها متشابهَة أو جعلها كلّها مختلفة. والله أعلم)) [٢] .

ومن كل ما ذكرناه نصل إلى أنّ السياق مختلف بين الآيتين ، فقد بيّنت الآية الأولى قدرة الله سبحانه وتعالى وآيته في خلقه، في حين بيّنت الآية الثانية ما يؤكل من الفواكه والزرع ، ومن خلال السياق تلمّسنا الفروق في الاستعمال بينهما ، وهو مهم جداً في الدلالة على سبب الاختيار بين هذه المفردة وتلك. والله أعلم .

التعبير القرآني بين (جاعل) و (خالق)

يستعمل القرآن الكريم آسم الفاعل (جاعل)[٣] و (خالق)[٤]في آيات كثيرة وللدلالة على ما نقول ، قوله تعالى في سورة فاطر: (الحمد‘ لله فاطر‘ السمواتِ والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة ...)[٥].

وقوله تعالى في سورة (ص) : (إذ قال ربُك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين)[٦].

يرى الرازي أنّ آية (فاطر) تخصّ الحمد ويكون مرة على النعمة في أكثر الأمر ، ونعم الله سبحانه وتعالى قسمان: عاجلة وآجلة ، والعاجلة وجود وبقاء ، والآجلة كذلك إيجاد مرة وابقاء أخرى ... وههنا الحمد إشارة إلى نعمة البقاء في الآخرة ويدل عليه قوله تعالى: (جاعل الملائكة رسلاً). أي يجعلهم رسلاً يتلقّون عباد الله ، كما قال تعالى : (وتتلقاهم الملائكة)[٧]. وعلى هذا فقوله تعالى : (فاطر السموات) يحتمل وجهين:

---

٣ - المصدر نفسه: ٧٤.

٤- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١- ينظر: البقرة/٣٠ وآل عمران/٥٥.

٢- ينظر: الانعام/١٠٢ والرعد/١٦ والحجر/٢٨ وفاطر/٣ وص/٧١ والزمر/٦٢ وغافر/٦٢ والحشر/٢٤.

٣- فاطر/١.

٤- ص/٧١.

٥- الانبياء/١٠٣.

الأول : معناه مبدعها كما نقل عن ابن عبّاس.
الثاني : (فاطر السماوات والأرض) أي شاقهما لنزول الأرواح من السماء وخروج الأجساد من الأرض ويدل عليه قوله تعالى : (جاعل الملائكة رسلاً) فأن في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلاً ، وعلى هذا فأوّل هذه السورة متّصل بآخر ما مضى ؛ لأنّ قوله كما فعل بأشياعهم بيان لأنقطاع رجاء من كان في شك مريب وتيقنه بأن لا قبول لتوبته ولا فائدة لقوله آمنت ... فلمّا ذكر حالهم بين حال الموقن وبشره بإرساله الملائكة إليهم مبشرين ، وبين أن يفتح لهم أبواب الرحمة[١] .

وفي سورة (ص) (إني خالقٌ بشراً من طين) يرى الرازي أنّ هذه النظم إنما يصحّ لو أمكن خلق البشر لامن طين ، كما إذا قيل أنا متخذ سواراً من ذهب ، فهذا إنما يستقيم لو أمكن اتخاذه من الفضة.

وههنا خلق البشر من طين ، وفي سائر الايات ذكر انه خلقه من سائر الأشياء كقوله تعالى في آدم انه خلقه من تراب ، وكقوله تعالى (من صلصال من حمأ مسنون)[٢] وكقوله تعالى: (خلق الإنسان من عجل)[٣] .

وتدل هذه الآية على انه تعالى لمّا أخبر الملائكة بأنه خلق بشراً من طين لم يقولوا شيئاً ، وفي الآية الأخرى : (إنّي جاعل في الأرض خليفة) بيّن أنّهم أوردوا السؤال والجواب فبينهما تناقض ، والجواب عن الأول أن التقدير كأنّه سبحانه وصف لهم اوّلاً أنّ البشر شخص جامع للقوة البهيمية والشيطانية فلمّا قال : (إني خالق بشراً من طين) فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات انّما أخلقه من طين ، والجواب عن الثاني إن المادة البعيدة هي التراب ، وأقرب منه الطين ، وأقرب منه الحمأ المسنون ، وأقرب منه الصلصال . والجواب عن الثالث أنه في الآية المذكورة في سورة البقرة بيّن لهم أنه يخلق في الأرض خليفة وبالآية المذكورة ههنا بيّن أن ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين[٤].

من خلال ما مرّ يبدو لنا والله أعلم أنّ السياق حدد استعمال كلمة (خالق) في سورة (ص) و(جاعل) في سورة (فاطر) والخلق من شيء غير موجود أوجده الله سبحانه وتعالى والجعل شيء موجود قبله جعله في مكان أو زمان محدد أو معين.

خصوصية التعبير القرآني في باب الذكر والحذف

ثمّة قاعدة نحوية تقول: كلّ ما دل عليه الدليل جاز حذفه ، وما لم يدل عليه الدليل وجب ذكره ، ومن ذلك قولنا : ((جاء زيد وسافر)) فحذف (زيد) بعد سافر لدلالة (زيد)

٦- ينظر: التفسير الكبير: المجلد الثالث عشر: ٣.
٧- الحجر/ ٢٨.
٨- الأنبياء/ ٣٧.

١- ينظر: التفسير الكبير : المجلد الثالث عشر: ١٩٨.
٢ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك:٤٠٣/١ .

بعد الفعل (جاء) عليه ، ومنه قوله تعالى (واسأل القرية) أي أهل القرية . ومنه قول الشاعر:

بأيّ كتابٍ أم بأيةِ سنّةٍ ترى حبُهم عاراً عليّ وتحسب

فحذف مفعولاً (حسب) لدلالة مفعولي (رأى) عليهما وهما (حبّهم عاراً). ويؤيد قولنا ما ذكره ابن مالك في ألفيته :

ولا تُجِزْ هُنا بلا دليلٍ سُقُوطَ مَفْعُولين أو مَفْعولِ[1]

وفي التعبير القرآني يحذف لفظ أو أكثر بحسب ما يقتضيه السياق ، فقد يحذف الله سبحانه وتعالى حرفاً أو يذكره أو يجزّىء بالحركة للدلالة على المحذوف . يقول الدكتور فاضل السامرائي: ((إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك الاّ لغرض ومن ذلك على سبيل المثال انه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل ممّا لم يحذف منه ، وأن زمنه أقصر ... فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث . أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل . فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه ، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل . بل ذكره بأوفى صورة)) [2] .

ومن الأمثلة القرآنية التي تبيّن لنا هذه الظاهرة المهمّة ، قوله تعالى في سورة (هود) :

(مثل' الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون)[3] . وقوله في سورة (غافر) : (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكّرون)[4].

نلاحظ أن في سورة (هود) حذف التاء من الفعل (تذكّرون) ((للدلالة على أن هذا لا يحتاج الى طول تذكّر وتأمل))[5]. لأيَ مَنْ تسأل السؤال الآتي : هل يستوي رجل أعمى أصم ورجل بصير سميع ؟ فالجواب : كلا لا يستويان. ولذلك يأتي الله سبحانه وتعالى في مقام الإيجاز بالحدث قصيراً أو مقتطعاً . أما في سورة (غافر) فجاء بالفعل (تتذكّرون) بتائين ؛ لأنه في مقام التفصيل يأتي بالحدث طويلاً تامّاً ـ والله أعلم ـ يقول الشوكاني : ((لا يستوي المحسن بالأيمان والعمل الصالح والمسيء بالكفر والمعاصي . وزيادة (لا) في (ولا المسيء) للتأكيد))[6] .

أما ابن كثير فيقول((أي لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم . كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجّار(قليلاً ما تتذكّرون) أي ما أقلّ ما يتذكّر كثير من الناس)) [7] .

٣- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:١٠ .
٤- هود/٢٤ .
١- غافر /٥٨ .
٢- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:١٧ .
٣- فتح القدير :٤٨٤/٤ .
٤- تفسير ابن كثير : ٨٥/٤.
٥- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ١٧-١٨.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي ((أن الفرق واضح بين الآيتين ، ذلك أن آية غافر هذه في الذين كفروا الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم وهؤلاء لا يرون أن المؤمنين أفضل منهم ، بل على العكس من ذلك ، فأنهم يرون أنفسهم أفضل من المؤمنون . فهم لا يقرّون بهذا القول إقرارهم بالآية السابقة ، خصوصاً وأنه عبّر عن الكافر بالمسيء ... فهم يحتاجون إلى طول تذكّر وتفكّر ليعملوا أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أفضل من الكافر وان الكافر مسيء ... إن آية هود ليس فيها خلاف ويستوي جميع عقلاء الخلق في إقرارها مؤمنهم وكافرهم من دون تفكير ولا طول تذكر ولذا قال في آية هود: (هل يستويان مثلاً).

ولم يقرر ذلك ، بل ترك الجواب لمن يجيب وهو معلوم في حين قرّر ذلك في آية غافر ولم يسأل ، فقال : (وما يستوي الأعمى والبصير) ؛ لأن جواب هذا السؤال فيه اختلاف وليس بمنزلة السؤال الأول فالفرق واضح بينهما)) .

من هذا المثال ومن الأمثلة المشابهة له التي تجمع بين (تذكّرون) و (تتذكّرون) و (استطاعوا) و (استطاعوا) بحذف التاء واثباتها نصل إلى أنه يحذف من الفعل لمناسبة المقام ويذكر في الفعل لمناسبة المقام أيضاً وفي مقام التفصيل يأتي بالفعل والحدث طويلاً تاماً أما في مقام الإيجاز والاختصار فيأتي بالحدث قصيراً أو مقتطعاً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

البنية في التعبير القرآني

انّ القرآن الكريم يستعمل بنية الكلمة استعمالاً فريداً ورائعاً في غاية الجودة والدقة والجمال وقد كتب الدكتور فاضل السامرائي كتاباً مهماً موسوماً بـ(معاني الأبنية في العربية) سنة ١٩٨١م تحدّث فيه كثيراً عن ذلك وعن الاسم والفعل والصيغ المختلفة مثل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة وغيرها ، ثم ذكر جزءاً مهماً آخر في كتاب القيّم (التعبير القرآني)[1] .

١- ينظر: التعبير القرآني : ٢٤-٤٧.

ومن الأمثلة القرآنية التي توضّح لنا هذا الموضوع ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (يُخرِجُ الحيَ من الميت ويُخرجُ المّيت من الحيّ). فالشاهد هنا : جمع الله سبحانه وتعالى بين الفعل (يخرج) من الفعل الرباعي (أخرج) ، وبين الاسم ـ اسم الفاعل ـ (مُخرِج) من الرباعي (أخرج) بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر ، وذلك لأن الفعل يدلّ على الحدوث والتجدد ، والاسم يدل على الثبات والاستقرار كما وضّحت لنا كتب التفسير والصرف ، يقول الدكتور فاضل السامرائي :

((فاستعمل الفعل مع الحي فقال (يخرج) واستعمل الاسم مع الميت فقال (مخرج) وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة التجدد ؛ ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات فقال : (ومخرج الميت من الحي))) [١] .

ويوضّح لنا الزركشي ذلك ، عندما تحدّث عن الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل كما في قوله تعالى (هَلْ مِنْ خالقٍ غيرُ اللهِ يَرْزُقكم)[٢]إذ رأى أنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث ، والاسم يدل على الاستقرار والثبوت ، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر ، ولو قيل (رازقكم) لفات ما أفادهم الفعل من تجدّد الرزق شيئاً بعد شيء ، ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع ، مع أنّ العامل الذي يفيده ماض كقولك : جاء زيد يضرب[٣]. وكذلك لأن الاعتناء بشأن إخراج الحي من الميّت لما كان أشد أتى بالمضارع ، ليدل على التجدّد [٤]، كما في قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم) [٥] .

ويرى الزركشي أيضاً على أحد التأويلات في هذه الآية عن ابن مسعود وابن عطية: أن النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حيّ ، ويخرج الرجل منها حيّاً وهي ميتة ، وان لفظة الإخراج في تنقّل النطفة حتى تكون رجلاً ، إنما هو عبارة عن تغيير الحال ، كما تقول في صبي جيد البنية يخرج من هذا رجل قوي . وقد يحتمل قوله تعالى: (ومخرج الميّت من الحي) أي الحيوان كله ميتة ثم يحييه قال : وهو معنى التجريد والمراد به أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك.

وجاء في البرهان أيضاً أن (مُخرجاً) معطوف على (فالق) لا على (يخرج) فراراً من عطف الاسم على الفعل . ويرى الزمخشري تجويز الأمرين في حالة اجتماع معطوفين ، هل يجعل الآخر معطوفاً على الأول أو على ما يليه ؟ .

١- الأنعام /٩٥.
٢- فاطر/٣.
٣- ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٦/٤.
٤- ينظر: المصدر نفسه: ٨٣/٤.
٥- البقرة/١٥.

يوضّح لنا الدكتور فاضل السامرائي ما جاء في سورة (الأنعام) وما جاء في قوله تعالى في سورة (آل عمران): (يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحي).

إذ رأى أنّ السياق في سورة (الأنعام) مختلف وليس السياق في التغييرات وانّما هو في صفات الله سبحانه وتعالى وقدرته وتفضله على خلقه... فأنت ترى أنه بدأ الآية بـ(إن الله فالق الحبّ والنوى ...) أي بجملة تسمية وكان مسندها اسماً أيضاً ، في حين أنّ السياق في (آل عمران) يختلف عنه في (الأنعام) ؛ لأنه قائم على التغيير والحدوث والتجدد عموماً فالله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه ويعزّ من يشاء فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغيير والحركة ، فوضع كل صيغة في المكان اللائق بها .

وقد تكلّم عبد القاهر الجرجاني والرازي على الآيتين من سورة (الأنعام) وسورة (آل عمران) ، إذ جاء التركيب الفعلي (يخرج الحيّ) و (يخرج الميت) في (آل عمران).

أما في (ومُخرجُ الميت من الحي) في (الأنعام) فقد جاءت (مخرج الميت) بالصيغة الاسمية أي اسم الفاعل وهنا وقع الاستبدال بين لفظة (تخرج) و (مخرج) مع لفظة الميت بسبب السياق ، فالمعنى العام لسياق الآية الأولى (آل عمران) انه يبحث في امور كلها تبدأ بالعمل والحركة والاستمرارية نحو : (تؤتي – تنزع – تعزّ – تذلّ – تولج – تخرج الحي – تخرج الميت – ترزق) سياق آل عمران (٢٦-٢٧) ولهذا جاءت معه الصيغة الفعلية .

((وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء)) [١].

وهذا يعني أنّ الفعل المضارع يدل على الحركة والتجدد ؛ لأن سياق الآية الأولى يبحث عن الحركة والتغيير في حياة الإنسان من حيث الغنى والفقر والذلّة وهذا كله في الحياة الدنيا وهذه كلها موازين غير ثابتة وغير مستقرة . ولهذا مع هذه الحركة في السياق جاءت لفظة (تخرج الميت) ؛ لأنها منسجمة معها وهي التركيب الفعلي الذي يدل على الحركة .

أما سياق الآية الثانية (سورة الأنعام) فانه يبحث عن عظمة الخالق في خلقه (خالق ، فالق الإصباح ...) فالآية تبحث عن خالقنا ـ سبحانه وتعالى ـ كيف قام بفلق الحب .. ؟ وكيف جعل الليل .؟ وهذا يدل على الثبوت والهمود ؛ لأنه من الأعمال التي قام بها سبحانه وتعالى ولم تتغير هذه الأشياء بل هي ثابتة وساكنة إلى يوم الآخرة ، وان لفظة (مخرج الميّت) بالصيغة الاسمية (اسم فاعل) تنسجم معه بشكل كامل ، و((إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء)) [٢].

ان مع صفات الله تعالى وقدرته وتفضّله على خلقه جاءت الصيغة الاسمية دالة على السكون والهمود ، ولو لاحظنا دقة التعبير القرآني البليغ ، كيف جاءت لفظة

١- دلائل الإعجاز : ١٣٣ وينظر: التفسير الكبير:٩٣/١٣ .

٢- المصدران أنفسهما والصفحتان أنفسهما.

٣- ينظر: معاني النحو:٢٦٠/٣-٢٦١ ، التعبير القرآني: ٢٤-٢٥ ، وموازنة اسلوبية في القرآن الكريم:١٢٤-١٢٥.

(الموت)الساكن مع لفظة (مخرج) دلالة على عدم حركة الميت وسكونه . بينما جاءت مع لفظة (الحيَ) لفظة (يخرج) ؛ لأن الحي ما كان متحركاً وليس ساكناً.[١]

قال الإسكافي عن هذا الاستبدال : ((إن أول هذه الآية [يقصد سورة الأنعام/٩٥] ذكر بلفظ الاسم وهو (فالق الحبّ والنَوى) فكان اللائق به أن يقال (ومُخرجُ الحي من الميت)...

وليس في الرأي الآخر (يقصد سورة آل عمران (٢٧)) ما في هذه الآية قبلها وبعدها من الاسمية فذكر فيها على لفظ الفعل عاطفها ومعطوفها))[٢] .

ويعضد قول الإسكافي ما ذهب إليه الكرماني في هذين الأسلوبين ، فلما وقع بينهما ذكر (يخرج الحي من الميت) آل عمران/٢٧ بلفظ الفعل و (مخرج الميت من الحي) الأنعام/٩٥ بلفظ الاسم ، عملاً بالشبهين وآخر لفظ ، لأن بعده اسمين (خالق و جاعل) الأنعام/٩٥ والمتقدم اسم واحد، بخلاف ما في آل عمران /٢٧ لأن ما قبله وما بعده أفعال والواقع فيه انه من معجزات القرآن[٣].

ومن المحدثين الذين وقفوا وقفة تأملية في السورتين الدكتور شلتاغ عبود في كتابه (أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم) إذ نقل رأي الكرماني الذي ذكرناه سابقاً ورأى أنّ للقدامى والمحدثين رأيين[٤] :

<u>الأول</u> : إن التعبير بالأسم (ومخرج) في الأنعام وقع بين أسماء الفاعلين ـ (فالق الحبّ والنوى)ـ ثم (فالق الإصباح) . وأسم الفاعل يشبه الاسم من بعض الوجوه ، في حين إن التعبير بالفعلية في آل عمران والروم ويونس وقع ؛ لأن ما قبله وما بعده أفعال وهذا ما ذكره الإسكافي في درّة التنزيل وسبق أن ذكرناه وكل ذلك لتحقيق التناسب في الصياغة .

<u>الثاني</u> : تتجاوز التناسب اللفظي إلى نوع من الدلالة المعنوية وهي الإشارة إلى أنّ التعبير القرآني استعمل مع الاسم (ومخرج) مع الميّت ، واستعمل الفعل (يخرج) مع الحي للدلالة على السكون والهمود في (مخرج) والدلالة على الحركة والتجدد في (يخرج).

ويرى الدكتور محمد عبد المطلب إن هناك إضافات تعليقية تتسلط أحياناً على متعلقات الأفعال لا الأفعال أنفسها ، وعلى هذا يأتي قوله تعالى: (يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي) فالتكرار يبتدئ بمجموعة حزم : (يخرج ـ يخرج) ، (الحي ـ الحي) (الميت ـ الميت) وهو ما يدفع بالتوافق الصياغي في مستوى السطح ولكن يحتفظ العمق بالتخالف . والذي أنتج هذه المخالفة العميقة (يخرج الحي من الميت) و (يخرج الميت من الحي) التحريك الأفقي للصياغة [٥].

١ـ درّة التنزيل: ١٢٥ـ١٢٦.
٢ـ ينظر : أسرار التكرار : ٧١ .
٣ـ ينظر : اسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم : ٥٢ .
٤ـ ينظر : البلاغة العربية قراءة اخرى : ٣٨٠ .

ومن كل ما ذكرناه ـ قديماً وحديثاً ـ في هاتين الآيتين من سورتي الأنعام وآل عمران وما جاء مشابهاً لهما في الروم ويونس وغيرهما أتضح لنا أنّ القرآن الكريم قد صاغ مع سياق الحركة والتجدد لفظ (تخرج) أي الفعل دلالة على الحركة والتجدد وصاغ مع سياق السكون والثبوت لفظ (مخرج) أي الاسم لدلالته على الثبوت وبيان ذلك إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء وأما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء .

خصوصية التعبير القرآني في المشتقات

استعمل القرآن الكريم المشتقات (اسم الفاعل) و (اسم المفعول) و(صيغ المبالغة) وغيرها استعمالاً في غاية الروعة والدقة والجمال ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة (غافر):

(إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب)[١] . وقوله تعالى في السورة نفسها : (فأطّلع إلى اله موسى وإنّي لأظنّه كاذباً)[٢]. وهناك آيات كثيرة أخرىجمعتبين(كذّاب)[٣] و (كاذب)[٤].

وقبل الحديث عن الفرق بين (كذّاب) و(كاذب) نعود إلى معجمات اللغة التي تحدّثت عن باب(الكاف والذال والباء) ومنها معجم مقاييس اللغة لأبن فارس (ت٣٩٥ه) الذي قال ((الكاف والذال والباء اصل صحيح يدلّ على خلاف الصدق . وتلخيصه أنّه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق من ذلك الكَذِب خلاف الصدق . كذَبَ كَذِبا و كذّبت فلانا : نسبته إلى الكذب .. وزعموا أنه يقال كذب لبن' الناقة : ذهب ... فأمّا قول العرب : كذب عليك كذا، وكذّبك كذا بمعنى الإغراء ، أي عليك به ، أو قد وجب عليك ، كما جاء في الحديث : ((كذّب عليكم الحجّ)) أي وجب)) [٥].

وجاء في لسان العرب : الكذِبُ : نقيض الصِّدق ؛ كَذَب يكذِبُ كَذِبَاً و كِذْباً وكِذْبه وكَذِبَةً وكذّاباً ... وكذّب الرجل تكذيباً وكِذّلباً : جعله كاذباً. أما عن قوله تعالى : (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّابا) أي كذباً وكذّاباً أحد مصادر المشدّد ، لأن مصدره قد يجيء على التفعيل مثل التكليم ، وعلى فعّال مثل : كذّاب[٦] .

١- غافر/٢٤.
٢- غافر/٣٧.
٣- منها القمر/٢٩و٢٥ والنبأ/٢٨و٣٥ وغافر٢٨.
٤- منها هود/٩٣ والزمر/٣ وغافر/٣٨ .
٥- مقاييس اللغة : مادة(كذب): ٥/١٦٧ـ١٦٨ .
٦- ينظر: لسان العرب: (كذب) : ١٢/٥٠ .

انّ (كذّاب) صيغة مبالغة من أسم الفاعل (كاذب) المأخوذ من الفعل الثلاثي (كذب) وهو من الباب الثاني (كذَب ـ يكذِبُ) ، وكذّاب تدلّ على كثرة الكذب .

أما (كاذب) فهو اسم فاعل من الثلاثي (كذب) على وزن فاعل وهو يعمل عمل فعله المبني للمعلوم . وتذكر لنا كتب التفسير أن الآية الأولى من سورة غافر التي ورد فيها (كذّاب) تخاطب نبينا موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ومع قوة معجزات موسى (عليه وعلى نبينا السلام) بعثه الله سبحانه وتعالى إلى فرعون وهامان وقارون فكذّبوه وكابروه ، وقالوا هو ساحر كذّاب ، واعلم أن موسى (عليه السلام) لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المرادة بقوله تعالى (فلما جاءهم بالحقّ من عندنا) حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات وانهم وصفوه بكونه ساحراً كذّاباً وهذا في غاية البعد ؛ لأن تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة والظهور إلى حيث يشهد كل ذي عقل سليم بأنَه ليس من السحر البتة.

أما في الآية (٣٧) من سورة غافر (وانّي لأظنّه كاذباً) فلم يبين أنه كاذب في ماذا والمذكور السابق متعين بصرف الكلام إليه فكأنّ التقدير : فاطّلع إلى الإله الذي يزعم موسى (عليه السلام) انه موجود في السماء ، ثم قال : (وانّي لأظنّه كاذباً) أي واني لأظنّ موسى كاذباً في ادعائه إن الإله موجود في السماء ، وذلك يدل على أن دين موسى (عليه السلام) هو إن الإله موجود في السماء[١] .

ويقول الرازي في قوله تعالى على لسان فرعون (واني لأظنّه كاذباً) : لعل فرعون ((لمّا سمع موسى ـ عليه السلام ـ قال : (ربّ السموات والأرض)[٢] . ظنّ انه عني به أنه رب السموات كما يقال للواحد منّا انّه رب الدار بمعنى كونه ساكناً فيه ، فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه ، وهذا ليس بمستبعد ، فأن فرعون كان بلغ في الجهل والحماقة إلى حيث لا يبعد نسبة هذا الخيال إليه ، فأنه استبعد الخصم فرعون وجب عليهم تعظيمه . وأما قوله إن فطرة فرعون شهدت بأن تحيل إليهم صحّة ذلك لاسيما من بلغ في الحماقة إلى درجة فرعون فثبت أن هذا الكلام ساقط)) [٣].

ونصل من ذلك أن للسياق أثراً مهماً في استعمال (كذّاب) و (كاذب) في هاتين الآيتين ،والاختلاف بين المقامين واضح ، وإن موقف الشدة والمجادلة بالباطل والعنت والتكذيب أظهر وأوضح في الآية الأولى لذلك استعمل (كذّاب) في الشدة وقوة المواجهة والله سبحانه وتعالى أعلم .

علماً أنّ (فعّل) أي (كذّب) يفيد التكثير والمبالغة غالباً [٤].

ويوضّح لنا الزركشي قوله تعالى : (فاطلع إلى إله موسى وإنّي لأظنه كاذباً) إذ يقول ((فقد عاد الضمير في قول المحققين للمضاف إليه وهو : موسى (عليه السلام) ، والظنّ بفرعون ، وكأنّه لما رأى نفسه قد غلط في الإقرار بالالهية من قوله (اله موسى)

١ـ ينظر : التفسير الكبير : المجلد الرابع عشر : ٤٧ و ٥٦ .
٢ـ الاسراء /١٠٢ .
٣ـ التفسير الكبير : المجلد الرابع عشر : ٥٧ .
٤ ـ ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٨١ (نبأ) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٢١٢/١ .

استدرك ذلك بقوله هذا)) [1] . أي إن الضمير هنا عاد إلى المضاف إليه لوجود القرينة .
أما إذا قيل ((لأي علة نسب الظن إلى الله وهو شك ؟ : أحدهما : أن يكون الظن لفرعون ، وهو شك ؛ لأنه قال قبله (فاطّلع إلى اله موسى) وانّي لأظنّ موسى كاذباً فالظنّ على هذا لفرعون .
الثاني : أن يكون الكلام عند قوله: (أسباب السموات فاطّلع إلى اله موسى وانّي لأظنّه) على معنى : وانّي لأعلمه كاذباً ، فإذا كان الظنّ لله كان علماً ويقيناً ولم يكن شكّاً كقوله : (إني ظننت أنّي مُلاقٍ حسابية) [2] ...)) [3] .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة في كتاب الله العظيم من خلال أمثلة قرآنية في بحثنا الموسوم بـ((بدائع التعبير القرآني وخصوصيته في أمثلة من الآيات القرآنية)) الذي تكلّمنا فيه على موضوعات هي :

التقديم والتأخير في التعبير القرآني ـ وبلاغة الكلمة في باب الوصف في التعبير القرآني وخصوصية التعبير القرآني في الذكر والحذف ، والبنية في التعبير القرآني ، والتعبير القرآني في المشتقات (أسم الفاعل وصيغ المبالغة) أنموذجاً ـ توصلنا إلى النتائج الآتية :

١- جاء التعبير القرآني في صورة عالية البلاغة وأسلوب معجز لا يرقى إليه كلام مهما كان وبعبارة موجزة ، عميقة المعنى ، مهما اختلفت الأساليب وتنوّعت الدلالات .
٢- للتعبير القرآني خصوصية متميزة في التقديم والتأخير والذكر والحذف كانت بعيدة المنال عن النحويين والبلاغيين سواء كانوا قدماء أو محدثين.
٣- يدعو الباحثان إلى دراسة هذه الموضوعات وغيرها من الموضوعات النحوية والبلاغية في ضوء الأسلوب القرآني المعجز في دراسات أكاديمية جامعية.
٤- يعدّ الدكتور فاضل صالح السامرائي من أبرز المحدثين العراقيين والعرب في دراسة التعبير القرآني وبلاغة الكلمة واللمسات البيانية في كتاب الله العزيز بدلالة مؤلفاته الكثيرة وقوّتها وأهميتها وأثرها في الدارسين المحدثين فضلاً عن نتائج أخرى مبثوثة في صفحات البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

٥- البرهان في علوم القرآن: ٤٧/٤.
١- الحاقة /٢٠.
٢- البرهان في علوم القرآن: ٩٥/٢.

مصادر البحث ومراجعه

- **القرآن الكريم.**
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : تأليف د. شلتاغ عبود ، ط (١) بيروت ٢٠٠٣م.
- أسرار التكرار في القرآن : الكرماني ، ط(١) ، دار بو سلامة ، تونس ١٩٨٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني (٧٣٩هـ) ، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية ، الجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية (لا.ت) .
- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، ط (١) ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٨هـ .
- البرهان في علوم القرآن : الزركشي (٧٩٤هـ) ، خرّجه وقدّم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م . وبتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط (١) مصر ١٩٥٨.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : الفيروز أبادي ، تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ، القاهرة ١٣٨٣هـ .
- البلاغة العربية قراءة أخرى : د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ١٩٩٧م .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي ، ط (١) ، دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٠م.
- التعبير القرآني : تأليف د. فاضل صالح السامرائي ، ط (١) وزارة التعليم العالي ، جامعة بغداد ١٩٨٦م/١٩٨٧م.
- تفسير ابن كثير : ابن كثير ، طبعة دار الكتب المصرية ، عيسى البابي الحلبي (لا . ت) .
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : الرازي (ت ٦٠٤هـ) ، ط (١) ، دار الكتب ، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- التقديم والتأخير في القران الكريم : تأليف حميد أحمد عيسى العامري ، ط(١) دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٦م .
- درّة التنزيل و غرّة التأويل : الخطيب الإسكافي ، ط (٤) ، دار الآفاق ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني، جدة ١٩٩١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الالوسي (١٢٧٠هـ) ضبطه وصححه علي عبد الباري ، ط (١) ، دار الكتب ، بيروت ١٤٢٢هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل المصري (ت ٧٦٩هـ)، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الصناعتين : أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، ط مصر ، (لا.ت) .

- فتح القدير : الشوكاني ، ط(١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٤٩هـ.
- الكشّاف : الزمخشري (٥٣٨هـ) ط مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م
- لسان العرب : ابن منظور (٧١١هـ) ، ط جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، ط(٣) ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي ، طبعة طهران (لا.ت) .
- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، مطابع دار الحكمة ، الموصل ، ط(١) ١٩٨٩م.
- المعجم المفهرس للقرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، الكويت ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، طبعة طهران (لا.ت).
- مقاييس اللغة : ابن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر (لا.ت).
- موازنة اسلوبية في القرآن الكريم دراسة لغوية (دراسة ماجستير) : أعدّها الباحث بكر غريب فرج ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.